الفصل الأول

نقطة الإنطلاق

١- ابتسم دائما

٢- ترفق مع الجميع

٣- تواضع واجعل من حولك يشعرون بأهميتهم

٤- إصنع المعروف

٥- أودع بعضا من حسناتك

٦- إفرح لفرح الناس

٧- إعدل بين العاملين معك

٨- إضمن للنبي صلى الله عليه وسلم ستا

(١) ابتسم

ابتسم دائما، ولا تحرم نفسك من صدقة لا تكلفك شيئًا فهي مفتاح القلوب المغلقة وقد قال الحبيب ﷺ: "تبسمك في وجه أخيك صدقة" . قال عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ، وتذكر يا بني أن **(هذه الابتسامة كلمة معروف بغير حروف تحدث في ومضة فيبقي أثرها دهرًا)** .

أن هذه الابتسامة الصافية على شفتيك هي الإثبات الأول لنفسك قبل الآخرين أنك في صحة جيدة وأن شعورك إيجابي، ومن ثم فأنت على استعداد غير محدود لأن تمنح من حولك طاقة معنوية عالية كفيلة بأن تحسن أداءهم بنسبة كبيرة وبدون استخدام أي كلمات، فإذا ما تكلمت جيدًا مبشرًا تكون قد قطعت خطوة أخرى كبيرة في تنمية طاقة الآخرين .

إن هؤلاء الذين لا يعرفون كم هي ثمينة هذه الابتسامة مرضى لا يشعرون بالحقيقة الخطيرة لمرضهم، وينبغي علينا أن نلتمس لهم العذر، وأن نشفق عليهم، فحالة عدم الابتسام التي يعانون منها لن تلبث كثيرًا حتى تتحول إلى تشاؤم وقلق ثم اكتئاب .

فلا تنتظر يا بني أن يلقاك الناس بابتسامة، بل بادر أنت بابتسامتك الجميلة التي تسبق خطواتك دائمًا .

وابتسامتك التي أنتظرها أنا والآخرون منك ليست فقط هي ابتسامة شفتيك، ولكنها هي ابتسامة قلبك وشفتيك وعينيك وكل جوارحك، لا أريد منك ابتسامة صفراء عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع .

وأقول لك سرًّا لا يعلمه كثيرون عن كيفية كشف الابتسامة الصفراء عندما يلقاك بها أحدهم؟ إن العضلات في منطقة الشفتين هي عضلات إرادية، ومن ثم يستطيع الإنسان قبضهما وبسطهما كيفما شاء، أما عضلات منطقة ما حول العينين فهي لا إرادية ولا تعطي الشكل الحقيقي للابتسامة إلا إذا كانت الابتسامة حقيقية ونابعة من القلب، ولذلك ضع عينيك مباشرة في عيني المبتسم في وجهك ولا تنشغل كثيرًا بشفتيه حتى تعلم هل يبتسم حقًّا من قلبه أم أنها ابتسامة زائفة .

تأمل يا بني الناس عندما يذهبون للتصوير، إنهم يبذلون جهدًا كبيرًا للحصول على ابتسامة لائقة تعطي الصورة بريقًا وحيوية، وتراهم ودودين جدًّا، وينفذون بدقة ما يقوله المصور وما يفعله أيضًا، فهو يمسك الرأس ليضعها في شكل مناسب ونحن نستجيب في غرابة شديدة حتى ولو كان الوضع غير مقنع ثم يطلب منا ابتسامة، ثم

يقول: أكتر شوية لا أقل شوية ونحن نطيع، أتدري لماذا ؟ لأننا نريد أن تخرج الصورة جميلة !! ونسينا تمامًا أننا نملك الأصل .. لقد بذلنا جهودًا مضنية لكي تكون الصورة رائعة، ولم نهتم بأن يكون الأصل أجمل وأروع ، والمضحك أن كثيرًا من الناس فور خروجه من محل التصوير يتخلص فورًا من عبء ابتسامته ويعود إلى حالته البائسة وكأنها رصيده في الحياة !

إننا نقف كل يوم أمام المرآة عدة مرات ونحن ننظر إلى ملابسنا وأناقتنا، ولكن قليلا ما نهتم بالبحث عن الوجه الأجمل الذي نملكه بالفعل للقاء الناس به، إننا عندما نضحك أو نبتسم فإننا نستخدم نفس المقومات الموجودة معنا أصلا، فلا ندفع مقابلا لذلك، ولا نبذل جهدًا خاصًّا، فقط كل ما هناك قرار بالابتسام أو الضحك وتدريب بسيط على اختيار الوجه الأجمل لنا والإصرار على الحفاظ عليه مهما كانت الظروف.

لقد اكتشف اليابانيون والصينيون ذلك وأثره على الحالة المزاجية للشخص نفسه فضلا عمن حوله، ولذلك قاموا بتصميم بعض التمارين الجميلة التي لا يستطيع الشخص الحصول على وظيفة مناسبة في الوظائف التي تتطلب مواجهة الجماهير إلا بعد اجتياز تمرين الابتسامة. ولعل من أشهر هذه التمرينات وضع عصا رفيعة جدًّا

من الخشب تشبه التي يستخدمونها في الطعام بين الأسنان بحيث لا تلمس الشفتين .

(٢) ترفق

ترفّق مع الجميع[1]، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله ﷻ بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق" .

وعنها أيضًا: "إن النبي ﷺ قال:" يا عائشة، إن الله رفيق يحب الترفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه" .

وعن جرير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من يحرم الرفق يحرم الخير" .

اجعل يا بني الرفق شعارك في تناول الأمور والتعامل مع من حولك.

ويقول صلوات ربي وسلامه عليه: " إن الرفق ما يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" .

إن الرفق يا بني ليس مع بني البشر فقط بل هو مع الحيوانات أيضًا، وقد جاء في تحفة الأديب مصطفى السباعي (روائع حضارتنا) أنه كان لأبي الدرداء بعير، وكان يقول له عند موته: لا تخاصمني إلى ربي وربك، فأنا لم أحملك يوما فوق طاقتك .

---

[1] كتاب مصطفى السباعي (روائع حضارتنا).

وقال بعض فقهاء الإسلام: إن من لجأت إلى داره قطة عمياء وجبت عليه نفقتها؛ لأنها لا تستطيع الانصراف .

ليس هذا فحسب، بل إن الحيوانات التي لا نأبه لها قد تكون سببًا في دخولنا الجنة، وقد جاء في الصحيحين أن رجلًا دخل الجنة في كلب رآه يلهث من شدة العطش، فخلع خفه وسقاه، فشكر الله له فغفر له، وعلى النقيض دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي سقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

وأجمل ما أقوله لك يا بني هو موقف من مواقف النبي ﷺ وكيف كان الرفق فيها هو الأساس .

انظر يا بني إلى هذا الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ في المسجد، ثم بال في المسجد، فقام الصحابة إليه ليوسعونه ضربًا، فقال لهم الرحمة المهداة: "دعوه حتى ينهي بولته، وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبًا من ماء؛ فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين".

إنني أتأمل هذا الموقف كل يوم عدة مرات عندما أرى هذه الوجوه الكالحة العابسة البائسة التي تظن بنفسها خيرًا وهي تفتقر إلى أبسط القواعد النبوية في الرفق وحسن الخلق.

وموقف آخر هو موقفه مع زيد بن سعنة، بينما كان الرسول ﷺ جالسًا بين أصحابه. .إذ برجل من أحبار اليهود يسمى زيد بن سعنة دخل على الرسول ﷺ.. واخترق صفوف أصحابه حتى أتى النبي ﷺ وجذبه من مجامع ثوبه وشده شدًا عنيفًا، وقال له بغلظة: أوف ما عليك من الدين يا محمد .. إنكم بني هاشم قوم مطل (أي تماطلون في أداء الديون) وكان الرسول ﷺ قد استدان من هذا اليهودي بعض الدراهم ولكن لم يحن موعد أداء الدين بعد، فقام عمر بن الخطاب ﷺ، وهز سيفه وقال: ائذن لي بضرب عنقه يا رسول الله. فقال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ: "كنا أنا وهو أحوج منك إلى غير هذا! أن تأمرني بحسن الأداء، وأن تأمره بحسن

الطلب، اذهب معه إلى بيت المال وأعطيه ماله وزد عليه عشرين صاعًا من تمر جزاء ما روعته".

فقال اليهودي: والذي بعثك بالحق يا محمد ما جئت لأطلب منك دينًا، إنما جئت لأختبر أخلاقك، فأنا أعلم أن موعد الدين لم يحن بعد، ولكني قرأت جميع أوصافك في التوراة فرأيتها كلها متحققة فيك إلا صفة واحدة لم أجربها معك. . وهي أنك حليم عند الغضب .. وأن شدة الجهالة لا تزيدك إلا حلمًا .. ولقد رأيتها اليوم فيك. . فأشهد أن لا إله إلا الله .. وأنك محمد رسول الله .

(٣) تواضع

تواضع واجعل من حولك يشعرون بأهميتهم فليس في هذا الكون إنسان غير مهم، ولكننا قد لا ندرك جوانب الأهمية لكل إنسان، إن الله عز وجل قد ساوى بين الناس في المشاعر والأحاسيس التي لا تحتاج إلى تعلم، فالحب يتساوى فيه الغني والفقير والطفل والكبير، والفرح يتساوي فيه الجميع ومثله الحقد والكراهية .

إننا جميعا نحب الحياة ونكره الموت ونخاف المرض، فلا يكن تعاملك مع الناس مختلفًا في المشاعر .

يقول الله ﷻ: (ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) .

ويقول سبحانه: (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) .

المختال يا بني هو الذي يختال في هيئته ومشيته ولباسه، أما الفخور فهو الذي يفخر ويتعالى دائمًا بأقواله وأفعاله .

ويقول النبي ﷺ: "من تواضع لله رفعه الله" .

ولقد كان رسول الله ﷺ إذا سلم على أحد لا ينزع يده حتى ينزع .

وعندما جاء رجل يحدثه فوقف بين يديه مرتعدًا فقال له: "هون عليك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة". انظر كيف هدّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من روع الرجل وأشعره بأهميته .

اجعل الناس يا بني تشعر أنك مثلهم تشعر بما يشعرون به، وتأكل مما يأكلون، وتشرب مما يشربون، فإن هذا أدعى لأن يكونوا أكثر قربًا منك، وستزرع في داخلهم رغبة عارمة بالانتماء إليك .

كان النبي ﷺ في مهنة أهله يخيط ثوبه ويخصف نعله، يقول عمرو بن العاص: إن رسول الله ﷺ كان يدنيه منه، وكان يسمع منه حتى وقع في قلب عمرو أنه أحب الناس إلى النبي ﷺ، فجلس في مجلسه مع الصحابة، وقال له: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ فقال ﷺ:" عائشة". فقال عمرو مبتسمًا: ما عن النساء أتحدث يا رسول الله، وإنما عن الرجال. فقال ﷺ:"أبوها". قال عمرو: ثم من ؟ قال: "عمر". قال: ثم من ؟ قال: " عثمان ". ثم قال: من؟ قال:" علي". فيقول عمرو: فخفت أن أسأل بعد ذلك خوفًا من ألا يكون لي مكان في قلبه .

ويقول ابن القيم:

وليحذر المؤمن من طغيان أنا .. ولي .. وعندي .. فهذه الثلاثة ابتلي بها إبليس

الذي قال: أنا خير منه وفرعون الذي قال: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي. وقارون الذي قال: إنما أوتيته على علم عندي .

يروي المدائني المؤرخ العلامة الشهير قصة رجل رآه يطوف على بغلته بين الصفا والمروة في تيه وخيلاء، ثم رآه بعد ذلك في سفر يمشي على رجليه منهكًا متعبًا، ويحمل متاعه على ظهره فسأله: أنت الذي كنت تسعى بين الصفا والمروة على بغلتك ؟ فقال الرجل: نعم. قلت: أراجل هنا وأنت الذي كنت تسعى بين الصفا والمروة على بغلتك ؟ قال: ركبت حيث يمشي الناس فكان حقًا على الله أن أمشي حيث يركب الناس .

هذا يا بني بعض من ملامح سلوك التواضع وإشعار الناس أهميتهم وتوسيع مساحة الدفء بين الناس وشيوع الحب الذي يضمن النجاح وتجاوز الكثير من أزمات وقسوة الحياة .

(٤) اصنع

اصنع المعروف ولا تنظر كثيرًا في الدنيا إلى ما بعد ذلك، واسمع لقول المصطفى ﷺ: "صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب" .

ولا تنظر يا بني إلى حجم المعروف فقد يكون صغيرًا في عينيك كبيرًا عظيمًا عند الله عز وجل، وقد قال الحبيب ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق".

إننا يا بني نسير في هذه الحياة إما دائن وإما مدين، والدائن في الحياة سعيد الحظ؛ لأن الحياة ترد له الدين في كل لحظة، والمدين مسكين لأنه يبذل جهدًا كبيرًا، ولا يحصل على نتائج كبيرة، ويشكو دائمًا سوء الحظ، ولا يدرك أنه هو الذي يصنع سوء حظه. واسمع معي يا بني إلى الرائعة (ديانا كوبر) وهي تتحدث عن الحياة وهي تشكل دائرة واحدة مكتملة، ولا يستطيع أحد أن يخرج منها إلا بعد أن يستوفي حقه كاملا ما له وما عليه .

قد يظن البعض أنه يستطيع أن يخرج من الدنيا وقد احتال وحصل منها على أكثر مما يستحق أو أنه ظلم فيها وخرج دون أن يحصل على ما يستحق، وهؤلاء هم المساكين؛ فالدنيا يا بني طائعة مأمورة تنفذ بدقة مقادير قد كتبت قبل أن نولد ولا تعصي الله ما أمرها وكل ما هناك أننا لا نعلم الحكمة .

سوف تسمع كثيرًا من الناس يقولون: افعل ما شئت، والحساب يوم الحساب!! فلا تصدقهم وتذكر قول الحق سبحانه: (من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها ثمّ إلى ربّكم ترجعون) لقد فصل الله ﷻ بين الدنيا والآخرة بكلمة (ثم) وهي تعني أن الجزاء يكون من جنس العمل في الدنيا أولا، ثم يوم القيامة حساب آخر بشكل آخر عند ملك الملوك الواحد الأحد: (إنّ اللّه لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها).. إن

صلاح الرجل يا بني يمتد أثره إلى ذريته، فقد أوحى الله ﷻ إلى العبد الصالح وهو يسير مع نبي الله موسى عليه السلام أن يقيم الجدار الذي أوشك على السقوط على الرغم من سوء أخلاق أهل القرية، وتعجب موسى عليه السلام من سلوك العبد الصالح وعاتبه قائلا: (لو شئت لاتخذت عليه أجرًا)، ولكن العبد الصالح أخبره أن هذا ليس فعله ولا قراره الشخصي وإنما هو وحي من ربه، ومضى يفسر لنبي الله موسى: لماذا خرق السفينة؟ ولماذا قتل الغلام؟ ثم لماذا أقام الجدار ولم يحصل على مقابل لذلك العمل؟ قائلا له: (وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربّك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربّك وما فعلته عن أمري) [1] وهذه يا بني روعة الحياة وأسرارها التي تخفى على كثيرين فلا يفهمونها على حقيقتها ولا يستمتعون بها .

هذا هو فضل المعروف وأهله وأنا أعلم يا بني أنك ستكون بإذن الله من أهله، ولكن يجب علي أن أذكرك لتذكر أصحابك وأقاربك أن فعل المعروف ليس اختياريًّا

[1] سورة الكهف .

كما يظن البعض، أو أن ذلك فضيلة تؤجر على فعلها ولا تأثم على تركها، ولكن المعروف فرض عين على كل مسلم، بل إنه من أهم الفرائض، وقد سميت سورة كاملة باسمه وهي سورة (الماعون) والتي ربط فيها الله ﷻ فيها بين الإيمان الكامل وبين صنع المعروف.

(أرأيت الذي يكذّب بالدّين * فذلك الذي يدعّ اليتيم * ولا يحضّ على طعام المسكين * فويل للمصلّين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون) [1]

[1] سورة الماعون .

(٥) أودع

أودع بعضًا من حسناتك في خزائن جارك فإنها تعطي أرباحًا مضاعفة في الدنيا وفي يوم القيامة، والفقير هو الذي لم ينتبه إلى هذا الكنز الكبير والبنك العظيم .

الجيران في الدنيا ثلاثة: جار يؤذي، وجار يحسن، وجار لا يؤذي ولا يحسن.

وليكن بحثك يا بني دائمًا عن الجار الذي لا يؤذي فهو نعم الجار والعثور عليه مكسب كبير، ولا تجعل شكواك الدائمة بشأن اندثار الجار المثالي، والذي يحسن ولا يؤذي، يصون ولا يخون، يشجع ولا يثبط، يساعد ولا يتهرب ...

بدلا من الشكوى كن أنت يا بني هذا الجار، فإنها والله هبة عظيمة منّ الله بها على الطيبين من عباده بأن وفقهم إلى الدرجات العلى في إعطاء الجوار حقه .

اسمع يا بني هذه القصة القصيرة...

باع رجل يدعى أبو الجهم العدويّ داره بمائة ألف درهم، ثم قال للمشترين: فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص؟ فقالوا في دهشة وتعجب: وهل يشترى جوار قط ؟!

قال: ردّوا عليّ داري، وخذوا أموالكم، والله لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عنّي ، وإن رآني رحّب بي، وإن غبت حفظني، وإن شهدت قرّبني، وإن سألته قضى حاجتي وإن لم أسأله بدأني، وإن حلت بي نازلة فرّج عنّي .

فبلغ ذلك سعيد بن العاص فبعث إليه بمائة ألف درهم وقال له: احفظ عليك دارك وهذه أموالك. يقول الحق ﷻ: (واعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصّاحب بالجنب)

وأحاديث النبي ﷺ عن حقوق الجار كثيرة لا يتسع المقام لذكرها .

يقول النبي ﷺ: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" .

ويقول:" والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن". قيل: من يا رسول الله؟ قال:"الذي لا يأمن جاره بوائقه" .

إن نعمة الجار الذي لا يؤذي تستحق الشكر عليها ليل نهار، وبالشكر تدوم النعم فيتفضل الله عز وجل عليك، ويتحول هذا الجار إلى الجار المحسن، وأما إذا ظننت أن هذا الجار الذي لا يؤذي هو شيء عادي لا يستحق الشكر فاحذر، فقد يكون هذا استدراجًا إلى حين، ثم يبتليك الله نتيجة عدم الشكر والامتنان بالجار الذي يؤذي، عافاك الله من ذلك يا بني .

(٦) افرح

افرح لفرح الناس تفرح كثيرًا واجعل ذلك منهج حياة، فالفرح والبهجة في الحياة يتسببان في تقوية جهاز المناعة والحفاظ على نضارة الوجه، وقد ذكرت لك ذلك عندما حدثتك عن الضحك، ولكني اليوم أذكر لك شيئًا مختلفًا عن الضحك وهذا هو الفرح لأفراح الآخرين .

ولكي تصل إليك الصورة بشكل واضح سوف أستعرض لك بعض مواقف الحياة التي نراها يوميًّا .

حفلة خطوبة أو زفاف .... تحضر أحد المدعوات ومعها ابنتها وقد انطلقت الزغاريد من كل مكان، ومظاهر الفرح والبهجة والسعادة تعم الجميع، وإذا بالأم تخاطب ابنتها قائلة: (أنا مش عارفة إيه اللي عاجبه في العروسة، ما أنتِ قاعدة زي البيت الوقف لا فيه عريس بيروح ولا عريس بيجي!!) فتتحول كل مظاهر الفرح الخارجية إلى جحيم لا يطاق في قلبيهما، والخسارة هنا ليست خسارة واحدة يا بني، وإنما خسارتان جسيمتان:

الأولى: أن الأم وابنتها فقدتا فرصة ذهبية للاستمتاع بقدر كبير من الفرح والسرور الذي يعم الجميع .

الثانية: وهي الأشد خطرًا أنهما مطالبتان أن يظهرا للحاضرين أنهما مسرورتان، وتشاركان المدعوات الفرح والبهجة، وهذا يحطم جهاز المناعة ويقتل الإنسان لفقدان السلام الداخلي والتوازن النفسي .

والموقف الثاني هو من هذه المواقف الكثيرة التي لا تعد، وقد اخترته لك، وهو موقف الاحتفال البسيط لحصول الابن على مجموع كبير يؤهله للالتحاق بإحدى كليات القمة، وإذا من بين الحاضرين بالطبع أب وأم لم يحصل ابنهما على المجموع الكبير المناسب فينظران في أسى إلى الابن المتفوق الرائع، وبدلا من أن يشدا على يديه قائلين: بارك الله لك، ونراك بإذن الله في مركز مرموق يشرف والديك ويشرفنا جميعًا، تبدأ حفلة النكد الداخلية فيتوجه الأب إلى الأم المسكينة قائلا: (جتنا نيلة في حظنا الهباب!!! آدي العيال ولا بلاش!!! إحنا كنا عملنا إيه في دنيتنا عشان ما يطلعش ابننا كده!!! ناس ليها حظ وناس زي حالتنا!!) .

الخير والشر في هذه الحياة ممزوجان تمامًا ..

فها هم أخوة يوسف أبناء يعقوب وإسحاق وإبراهيم يخططون لقتل يوسف والعمل الصالح في نفس الوقت

شريف صلاح الدين

إنني لا أنسى يا بني ذلك الكاريكاتير الرائع للفنان الشهير مصطفى حسين، والذي كان يطل علينا من جريدة الأخبار، وكان يتحدث عن شخصية قاسم السماوي الذي ينظر إلى العالم كله من خلال هذه النظرة السوداوية التي تهدم ما بالداخل، ولا تصلح ما بالخارج، وكنا نتندر على بعض أصحابنا في الكلية أو في الحياة لأنهم يشبهون في تصرفاتهم ونظرتهم إلى العالم شخصية قاسم السماوي .

إن المفتاح السحري للتعامل مع النعم التي تفضل الله ﷻ بها على الغير هو: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله)، فهي التي تحميك من الحسد إذا كانت النعمة عندك وتحميك من الغل والحقد إذا كانت النعمة عند غيرك .

(اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ [1]).

[1] سورة يوسف، آية ٩ .

(٧) اعدل

اعدل بين العاملين معك وبين أبنائك وكل المحيطين بك، وأعطِ كل ذي حق حقه، ولا تجعل عواطفك ومشاعرك تجعلك في جانب أحد دون الآخر.

إن مشاعر الحب والبغض والرضا والغضب تأخذ الناس بعيدًا عن العدل، فترى الرجل يكيل بمكيالين في الحكم على الأمور فلا يستقر على مبدأ ولا يرسو على منهج.

إن الله ﷻ خالق البشر يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يقول في محكم كتابه: (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [1]).

ويقول سبحانه: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل). وقد كان رسول الله ﷺ يدعو ويقول: "اللهم إني أسالك العدل في الرضا والغضب". ويقول: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، ثم قرأ:

---

[1] سورة المائدة، آية ٨.

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [1]).

وتذكر يا بني هذه الخطبة الرائعة التي ألقاها الخليفة الأول الراشد أبو بكر الصديق ﷺ عندما قال عند توليه:

العدل الحقيقي هو القوة في الحق والعدل مع من لا نحب قبل العدل مع من نحب.

"وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة, الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه إن شاء الله".

وتذكر أيضًا ما قاله الإمام ابن تيمية أن الله ﷻ يقيم دولة العدل وإن كانت كافرة، ويهدم دولة الظلم وإن كانت مسلمة .

إن حياتنا اليوم حافلة بالمفاهيم الخاطئة التي تجنح بنا عن طريق الحق والعدل إلى طريق الظلم والجور فتسمعهم يقولون: (حبيبك يبلع لك الزلط، وعدوك يتمنى لك الغلط)

---

[1] سورة هود، آية ١٠٢ .

و(أنا وأخويا على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب) .

اسمع ما قاله النبي ﷺ:" انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا". فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟! قال: "تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره" .

(٨) اضمن

اضمن للنبي ﷺ ستا يضمن لك الجنة، وهذا الوعد يا بني ليس مني ولا من أحد أصدقائك أو محبيك، ولكنه وعد صادق من الذي لا ينطق عن الهوى .

اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيدكم .

فأما الأولى فهي:

الصدق في الحديث، فالمؤمن صادق في حديثه، لا يعرف الكذب إليه سبيلا، ولا يزال محافظا على الصدق في حياته إلى أن يفضي به صدقه إلى الجنة، والنبي ﷺ يتحدث عن الصدق فيقول: " عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله تعالى صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا " .

وأما الثانية فهي:

الوفاء بالوعد والالتزام بالعهد، وهي سمة من سمات المؤمنين، وعلامة من علامات المتقين، فهم لا يعرفون خلفا في الوعود ولا نقضا للعهود , والوفاء يا بني يدخلك جنة الدنيا والآخرة، فالناس في الدنيا تحب وتسمع وتقبل قيادة من يصدقون في حديثهم ويوفون بعهودهم .

وأما الثالثة فهي:

أداء الأمانة، وهي من أصول الكمال والجمال عند البشر، والنبي ﷺ يقول: " لا إيمان لمن لا أمانة له ". ويقول: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان "، ويقول: " أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خان ". فالأمانة يا بني ليست أن تكون أمينًا مع الأمين فقط كما يفعل كثيرون في عصرنا هذا، ولكن أن تكون أمينًا مع الأمين، والخائن على حد سواء؛ لأن هذا من صفات المتقين ..

وأما الرابعة فهي:

حفظ الفروج من أن تفعل الحرام أو تقع في الباطل: (والذين هم لفروجهم حافظون[1] إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) [2]. وفي حفظ الفروج حفظ للنسل , ومحافظة على الأنساب, وطهارة للمجتمع , وسلامة من الآفات والأمراض .

و الخامسة هي:

غض البصر عن الحرام , والله يقول: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) [3]

وقد قال النبي ﷺ : " إياكم والجلوس في الطرقات "، فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، فقال: " إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقها "، قالوا:

---

[1] سورة المؤمنون .

[2] سورة النور .

[3] سورة النور .

وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال: " غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر " . ويقول الشاعر:

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم من نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر

وأما السادسة فهي:

كف الأيدي، وذلك يا بني من أسهل الطاعات وأفضل القربات، يقول الله ﷻ: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا. والنبي ﷺ يقول: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "، ويقول: " يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه ؛ لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله ") .

إن المسلم يا بني كما يؤجر على فعل الطاعات وبذل المعروف يؤجر كذلك على كف الأذى وصرف الشر عن الناس ؛ لأن ذلك من المعروف وداخل في معنى الصدقة .

قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال: " تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك ".

العطف هو كلمة يستطيع الأصم أن يسمعها والأبكم أن يقرأها

مارك توين

إن الإفاضة في شرح هذا الحديث والتعليق عليه تحتاج إلى مجلدات نظرًا لشموليته وروعته ولكني أوجزت لك ما يعينك في حياتك وتذكر يا بني أن الضامن في هذا الحديث هو النبي المعصوم ﷺ، أما المضمون فهو جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .